

ولادة السيدة المعمومة (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وللعنة الدائمة على أعدائهم أعداء الدين.

بِفَقْهٍ وَّ قَوْلٍ [طه: 25 – 28].

نبارك لكم ذكرى ميلاد السيدة فاطمة المعصومة صلوات الله وسلامه عليها التي تصادف هذه الليلة.

مقام السيدة المعصومة (ع) :

في الرواية الواردة عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: «إنَّ حرماً وهو مكة، وإنَّ للرسول حرماً وهو المدينة، وإنَّ لامير المؤمنين حرماً وهو الكوفة، وإنَّ لنا حرماً وهو بلدة قم، وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمى فاطمة، فمن زارها وجبت له الجنة». [بحار الأنوار، المجلسي 57 : 216].

إنها قم، وما أدرك ما قم! تلك المدينة المقدسة التي ذكرها الإمام الصادق (ع) قبل ولادة فاطمة المعصومة عليها السلام، فالسيدة المعصومة كما هو معروف، هي ابنة الإمام الكاظم (ع) فهي حفيدة الإمام الصادق (ع) لكنه ذكرها وذكر مدينة قم قبل ولادتها.

ومن هذه الرواية الشريفة نستفيد الكثير من الفوائد، منها: أن مدينة قم هي (حرم أهل البيت) بأجمعهم، كما أن للنبي (ص) حرماً، ولأمير المؤمنين (ع) حرماً. فهي الحرم الجامع لجميع أهل البيت (ع). ومنها إخبار الإمام بأن هذه المدينة سوف تدفن فيها امرأة من ولده، تسمى فاطمة، أي أنه ذكرها بالعنوان والاسم، ولم يذكرها بالعنوان فقط. أي أن شرف هذه المدينة، وكونها حرماً لأهل البيت (ع) كان بسبب هذه السيدة الجليلة. ومنها بيان مقام السيدة المعصومة بشكل صريح وواضح، بحيث إن زيارتها توجب الحنة.

وقد امتازت هذه السيدة الجليلة العظيمة - هي والسيدة زينب الكبرى - من بين جميع أبناء الأئمة (ع) بخصائص كثيرة، وقد وردت فيها روايات خاصة من الأئمة الأطهار (ع) منها الرواية التي ذكرناها سابقاً، وروايات أخرى تدل على عظمتها، منها ما رواه صاحب البحار، عن القاضي نور الله التستري، عن الإمام الصادق (ع) :

«إنَّ مَكَةَ حِرْمَانَ هُوَ مَكَةُ أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ حِرْمَانَ هُوَ الْمَدِينَةُ أَلَا وَإِنَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حِرْمَانَ هُوَ الْكُوفَةُ أَلَا وَإِنَّ قَمَ الْكُوفَةُ الصَّغِيرَةُ أَلَا إِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَّةُ أَبْوَابٍ ثَلَاثَةٌ مِنْهَا إِلَى قَمٍ تُقْبَضُ فِيهَا امْرَأَةٌ مِنْ وَلَدِي اسْمَهَا فَاطِمَةُ بَنْتُ مُوسَىٰ وَتَدْخُلُهُ بِشَفَاعَتِهَا شَيْعَتِي الْجَنَّةَ بِأَجْمَعِهِمْ». [بحار الأنوار، المجلسي 57: 228].

ومن هذه الروايات وغيرها نستكشف أن هذه المرأة ليست امرأة عادية، إنما لها خصوصية ومقام عظيم عند الله تعالى.

نعم، نحن نعرف أن بلدة قم تميز كذلك بالعبادة والعلم، وهي اليوم مركز الحوزة العلمية، وأصبحت لها مكانة عالمية. إلا أن هذا الشرف لم ينلها إلا بشرف السيدة المعصومة. لذا فإن الروايات التي تمدح أهل قم، وأن الغالب فيهم أنهم يدخلون الجنة، ليست بعيدة عن بيان مقام السيدة المعصومة.

ومن الروايات التي وردت في فضل مقام السيدة المعصومة (ع) ما ورد عن الإمام الرضا (ع). فقد روى ابن قولويه في كامل الزيارات عن سعد بن سعد، قال: «سألته عن زيارة فاطمة بنت موسى، قال: من زارها فله الجنة». [كامل الزيارات، ابن قولويه: 324].

وهنالك رواية أخرى أوردها صاحب البحار عن سعد بن سعد أيضاً، عن الإمام الرضا (ع) وفيها كيفية زيارة المعصومة عليها السلام وهي، عن الإمام الرضا أنه قال لسعد:

«يا سعد، عندكم لنا قبر؟ قلت: جعلت فداك، قبر فاطمة بنت موسى عليهما السلام؟ قال: نعم، من زارها عارفاً بحقها فله الجنة. فإذا أتيت القبر فقم عند رأسها مستقبل القبلة، وكبّر أربعاءً وثلاثين تكبيرة، وسبح ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، واحمد الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، ثم قل: السلام على آدم صفوة الله، السلام على نوح نبي الله السلام...». [بحار الأنوار، المجلسي 99: 266].

وفي كامل الزيارات أيضاً، عن الإمام الجواد (ع): «من زار قبر عمتي بقم فله الجنة». [كامل

وهكذا نجد أن الروايات الواردة في فضلها قد وردت عن الأئمة (ع) في عصور مختلفة، ولم ترد عن إمام واحد، ولا في زمان واحد، مما يؤكد فضلها وشرف مقامها سلام الله عليها.

جانب من سيرة العلماء في تقدیس السيدة المعصومة:

ومن هنا نجد أن المراجع والعلماء الآخيار، من أمثال السيد الإمام والسيد المرعشی رحمة الله عليهمما، إذا أرادوا زيارتها سلام الله عليها، يتقدمون بين يديها بأسمى درجات التواضع والخشوع، فيقربون الأعتاب والجدران.

ومما يجدر بنا ذكره في هذا المقام، ما ذكره السيد عادل العلوی حفظه الله تعالى، قال: حدثني سيدنا الأستاذ، عن والده آية الله السيد محمود المرعشی، أزمه كان يبحث عن قبر سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع)، فرأى في المنام مولانا الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، فقال له: عليك بكريمة أهل البيت.

قال والده: توهمت أزمه يريد فاطمة الزهراء عليها السلام، فقال عليه السلام - دفعاً للتوجه - والخيال - فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السلام، المدفونة في قم .

ثم قال سيدنا الأستاذ: في أيام الشباب، حينما حفظت بي المشاكل والصعاب، وأردت تزويج ابنتي، ولم أملك من المال شيئاً، ولا يسوع لي أن أسأل أحداً سوى الله سبحانه وتعالى. فأتيت حرم السيد المعصومة كريمة أهل البيت (ع) معاذها، ودموعي تسيل على الوجنتين وقلبي مفجوع، وقلت مخاطباً سيدتي ومولاتي: كأنما لا تهتمين بي، ولا تبالين بأمرى، فكيف أزوج ابنتي ولا شيء عندي؟

ثم أتيت الدار محزوناً، فأخذتني الغفوة، فرأيت في عالم الرؤيا قد دقّ الباب، ولما فتحته رأيت شخصاً، قال: السيد تريدى. فسرعان ما تشرفت بزيارتها عليها السلام. وحين الدخول في المصحن الشريف رأيت ثلاث إماء يكنس الرواق الذهبي، فسألتهن عن السبب فأجبن: الآن تأتي السيد. وبعد برهة رأيت مولاتي السيد المعصومة - وكانت نحيفة الجسم صفراء اللون، شمائها شمائل سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، كما رأيتها من قبل ثلاث مرات. فتقدمتُ وقدلت يدها - إذ هي عمرتني في النسب - فقالت سلام الله عليها: يا شهاب، متى لم نبال بأمرك حتى تعاينا وتشكونا؟ فمنذ دخلت قم وأنت في رعايتنا. فتفطّنت وعلمت أزيدني أسمات الأدب. فاعتذرنا منها. ثم استيقظت فأتيت الحرم الشريف

زائراً معتذراً، وسرعان ما انقضت حاجتي وسهّل أموري.

ثم حَدَّثَنِي عن مقام السيدة المعصومة الشامخ وعظامتها ومنزلتها الرفيعة عند أهل البيت (ع)، وأنّه من زارها عارفاً حقّها وجبت له الجنة. ثم قال: دخلت قم، عشّ آل محمد (ص) ولا أملك إلا القباء والرداء، واليوم كلّ ما لدى هو من بركات وجود وكرم هذه السيدة الطاهرة أرواحنا فداها.

ومما يذكر في هذا الباب أيضاً ما أورده العلامة الشيخ محمد علي المعلم في كتابه: «الفاطمة المعصومة عليها السلام»: إنّ مقام الشفاعة، وإن كان شامخاً، إِلَّا أنَّ للسيّدة فاطمة المعصومة مقاماً آخر عبدٍ ر عنده بـ«الشأن».

وَمِمَّا يدلُّ على ذلك ما نقله لي صديقي العزيز المحقق الشهير الفاضل السيد مهدي الرجائي - ورأيته في أكثر من كتاب - عن السيد محمود المرعشي، عن أبيه السيد شهاب الدين، عن جده السيد محمود المرعشي، أذنه كان يريد معرفة قبر الصدقة الزهراء عليها السلام، وقد توسّل إلى الله تعالى من أجل ذلك كثيراً، حتى أذنه دأب على ذلك أربعين ليلة من ليالي الأربعاء من كل أسبوع في مسجد السهلة بالكوفة، وفي الليلة الأخيرة حظي بشرف لقاء الإمام المعصوم عليه السلام، فقال له الإمام عليه السلام: «عليك بـكريمة أهل البيت»، فظنَّ السيد محمود المرعشي أنَّ المراد بـكريمة أهل البيت عليها السلام، هي الصدقة الزهراء عليها السلام، فقال للإمام عليه السلام: «جُعلت فداك، إنما توسّلتُ لهذا الغرض، لأعلم بموضع قبرها، وأتشرّف بزيارتها»، فقال عليه السلام: «مُرادِي مـنْ كـريمة أـهل الـبيـت قـبر

ثم قال: «إن الله تعالى قد جعل قبر الصديقة الزهراء من الأسرار، وقد اقتضت الإرادة الإلهية تبعاً لبعض المصالح أن يكون قبرها مخفياً لا يطلع على موضعه أحدٌ من الناس، فلا يمكن الإخبار عنه، ولكن جعل الله قبر السيدة فاطمة المعصومة موضعاً يتجلّى فيه قبر الصديقة الزهراء عليها السلام، وإن ما قدر لقبر الصديقة الزهراء (عليها السلام) من الجلال والعظمة وال شأن - لو كان معلوماً طاهراً - قد جعله الله تعالى لقبر السيدة المعصومة.

وعلى إثر ذلك، عزم السيد محمود المرعشي على السفر من النجف الأشرف إلى قم^٣ لزيارة كريمة أهل البيت عليها السلام. [مجلة الشعائر، العدد التسعون، السنة الثامنة. عن كتاب: الفاطمة المعصومة، محمد على المعلم: 176].

